Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (5), Issue (3): 30 Sep 2019
P: 52 - 69

ISSN: 2518-5780

مجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (5)، العدد (3): 30 سبتمبر 2019 م
ص: 52 - 69

The concept of sentence between sentence grammar and text grammar

Hasan Mohammed Mfreg
Umm Al_Qura University || Saudi Arabia

Abstract: Most of researchers in Arabic linguistics tend to believe that they have to choose between sentence' grammar and text' grammar. Proponents of old grammarians see that the sentence is the basis of linguistic lessons while specialists in the text' grammar see that text grammar is the summit of linguistic lessons because it gives tools that assist linguists to analyze texts, as it deals with linguistic compounds used in specific contexts, while the grammar of sentence deals with system sentences that describe language models and do not fall under the framework of completed speech. This research shows the importance of the two types of grammar. First, linguistic lessons start analyzing sentences but eventually the main goal is to analyze texts. So, the relationship between them is an integrative relationship, not a relation based on differences. I consider the text grammar as a cognitive leap since it moves from system sentences to textual sentences which perform communicational functions inside texts. This research tells that by benefiting from both of the two types of grammars, we can find a clear definition for the term of the sentence.

Keywords: text, sentence, syntax, concept.

مفهوم الجملة بين نحوي الجملة والنص

حسن محمد مفرق
جامعة أم القرى || المملكة العربية السعودية

الملخص: درج أغلب الباحثين في الدرس اللغوي العربي على الحكم بالتفاضل بين نحوي النص والجملة. أنصار الدرس النحوي القديم يرون أنّ نحو الجملة هو أساس الدرس اللغوي بينما يرى المتخصصون في نحو النص أن نحو النص هو ثمرة الدرس اللغوي لأنه يمنح الأدوات التي تساعد على تحليل النصوص، إذ إنه يتعامل مع مركبات لغوية تستخدم في سياقات تواصلية بينما معطيات نحو الجملة تتعامل مع جمل تصف النماذج اللغوية ولا تدخل تحت إطار الكلام المنجز. هذا البحث يبيّن أهمية النحوين معًا حيث إنّ نحو النص يعدّ تطورًا طبيعيا للدرس اللغوي الذي يبدأ بأصغر المركبات اللغوية وينتهي بأكبرها وهو النص. إذًا، العلاقة بينهما علاقة تكامل وليست تفاضل فنحو النص هو مكمّل لدروس نحو الجملة لأنه يتناول نوعًا آخر من الجمل وهي الجملة التي تؤدي وظيفة تواصلية داخل نصٍ ما. يبين البحث أن الاستفادة من معطيات كلا النحوين تساعدنا على وضع تعريف واضح لمفهوم الجملة.

الكلمات المفتاحية: نص، جملة، نحو، مفهوم.

مقدمة

في هذا البحث سأتحدث عن نحوي الجملة والنص مبينًا مفهوم ومعايير كل منهما بما يساهم في إبراز أوجه الاختلاف بينهما. ثم سأذكر علاقة نحو النص بنحو الجملة ومدى حاجة كل منهما للآخر إذ إنّ العلاقة بينهما تكاملية وليست تفاضلية. نحو النص ليس إلا تطورًا طبيعيًا لدروس نحو الجملة ومن خلاله نستطيع أن ندرك مفهوم الجملة بوضوح.

درجت الدراسات السابقة على بيان أهمية نحو النص ومحاولة إقناع الباحث اللغوي العربي بأن هذا النوع من الدرس اللساني له أهمية بالغة، كما أنّ له تطبيقات متميزة فيما يتعلق بتحليل النصوص. من هذه الدراسات على سبيل المثال: نحو النص ونحو الجملة لتمام حسان، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص لسعد مصلوح، نسيج النص للأزهر الزناد، الفرق بين نحو الجملة ونحو النص لهالة مقبل وغيرها من الأبحاث التي كان صلب اهتمامها هو تسليط الضوء على أهمية لسانيات النص والتفريق بينها وبين لسانيات الجملة. لكن هذه الأبحاث لم تنظر للدرس اللساني النصي كتطور طبيعي يظهر بعد أن تكون أبحاث نحو الجملة قد استوفت أغراضها. بحثي هذا يركز على اعتبار هذا النوع من الدرس اللغوي مرحلة خامسة من مراحل التحليل اللغوي لم تلق الاهتمام الذي تستحقه في درسنا اللغوي العربي. بينت من خلال هذا البحث أن مفهوم الجملة العربية سيتضح أكثر وتزول حالة الاضطراب التي تعتري مفهومه حين نقبل بهذه القفزة النوعية من إطار أبحاث الجملة إلى أبحاث النص. من خلال هذه النظرة أزعم أنني استطعت تبيان أنواع الجملة العربية المختلفة والتي يقع بعضها تحت مجال نحو الجملة والآخر تحت مجال نحو النص. هذا بدوره مكّنني من صياغة تعريف واضح لكل نوع مما سيساهم . كما أرجو . في إزالة حالة اللبس التي تعتري تعريف الجملة العربية.

سيتطرق هذا البحث للمحاور التالية:

أولًا: مفهوم الجملة عند بعض علماء اللغة الغرب القدامى والمحدثين

ثانيًا: معايير نحو الجملة

ثالثًا: مفهوم النص

رابعًا: معايير نحو النص

خامسًا: الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النص

سادسًا: أهمية نحو الجملة ونحو النص معًا

سابعًا: اقتراح تعريف أوضح للجملة.

أولًا: مفهوم الجملة عند بعض علماء اللغة الغرب القدامى والمحدثين

لم أتطرق في هذا البحث لتعريف الجملة عند اللغويين العرب لأني قد تتبعت ذلك في بحث آخر مستقل بعنوان: (اضطراب تعريف الجملة العربية).

ذكر محمد خير الحلواني أن تعريف الجملة لدى علماء الغرب القدامى يمكن تقسيمه إلى ثلاث اتجاهات: أولها، الاتجاه الدلالي، حيث يشترط في الجملة أن تدل على معنى مفرد تام. الثاني، الاتجاه الخطي، حيث يعرّف الجملة على أنها مجموعة كلمات تنتهي بنقطة. وهذا الاتجاه يستخدم هذا المفهوم لأغراض تعليمية. الثالث، الاتجاه الإسنادي، وهو اتجاه يرى أن الجملة لا تكون جملة إلا إن اشتملت على مسند ومسند إليه. [1] الملاحظ أن هذه الاتجاهات بشكل أو بآخر أثّرت في التعاريف التي اعتمدها علماء اللغة اللاحقون للجملة.

أبدأ بنقل بعض تعاريف الجملة عند علماء الغرب المحدثين حيث نجد كذلك أنهم لم يتفقوا على تعريف محدد للجملة. يقول دي بوقراند De Beaugrande: «لقد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره. ومن المقلق أن هذا التركيب الأساسي قد أحاط به الغموض وتباين صور التعريف حتى وقتنا الحاضر.»[2] عرف بلومفيلد Blomfield الجملة بأنها: «شكل

(1)- مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي، محمد خير الحلواني، بحث منشور في مجلة المناهل، العدد 26/ 1983. ص 197. 198

(2)- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط2/ 2007. ص88

لغوي مستقل ، لا يتضمنه من خلال أي تركيب نحوي شكل لغوي أكبر منه».[3] ظاهر كلام بلومفيلد أن التركيب هو الأساس في تحديد الجملة وليست الدلالة ولكن عند التمعن في شرط التركيب الذي يعنيه يتبيّن أن اكتمال المعنى الدلالي هو لازم من لوازم التعريف. أما إيفنش Ifnech فعرّف الجملة بأنها: «فكرة تامة». وهي عند قاردنر gardner وقولدمان Goldman وآيسلر Isler «تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة». أما عند هاريس Harrisفهي: « نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة».[4]

من خلال التعاريف السابقة نلاحظ أنّ تعريفات علماء اللغة الغربيين المحدثين لم تخرج عن الاتجاهات السابقة التي أشار لها الحلواني. تعريف إيفينش يتبع الاتجاه الدلالي، أما قاردنر وقولدمان وآيسلر فاتبعوا الاتجاه الخطي التعليمي، بينما بلومفيلد فيُفهم من تعريفه أنه يختار الاتجاه الإسنادي.

الملاحظ أن تلك التعريفات تنبثق من دائرة أبحاث نحو الجملة وهذا ما جعل التعريفات مختلفة بل يقوم كل اتجاه منها بالنظر للجملة من خلال منظور أحادي المتّجه يعتبر اكتمال المعنى، القدرة على السكوت أو اكتمال الإسناد هو الأساس في تحديد المفهوم. من وجهة نظري أنه لا يمكن وضع تعريف للجملة انطلاقًا من مسلمات نحو الجملة، إذ هذا النوع من الأنحاء لا يشترط فيه أن يضع تعريفًا جامعًا مانعًا للجملة يبيّن حدودها، فالغرض منها ليس التواصل بل وصف نظام اللغة عن طريق نماذج تبيّن الصور المقبولة والممكنة في نظام اللغة. الجمل التي يقوم على وصفها وتحليل علاقاتها نحو الجملة تسمى بجمل النظام System Sentences.

إنّ نحو الجملة هو صورة من صور التحليل النحوي الذي يقوم بتحليل التراكيب الأساسية والثانوية المتعلقة بها بأي نوع من أنواع العلائق والروابط النحوية اللفظية أو المعنوية. نحو الجملة لا يجاوز حدود الجملة الأساسية وتعلّقاتها إلا في حالات قليلة كحالات العطف والاستدراك. بناءً على ذلك فنحو الجملة لا يستطيع أن يقوم بوصف أو تحليل مركب لغوي فوق الجملة لأنها ليست وظيفته. كذلك لن يكون في مقدور نحو الجملة وضع تعريف جامع مانع يجلّي مفهوم الجملة ويساهم في تحديد نهايتها. إنّ ذلك متعذّر ما دام هذا النوع من النحو قائم على وصف جمل مستقلة سواءً أكانت مجتزأة من نص ما أو صنعت لغرض التمثيل أو التدريب على إنشاء أو تحليل تركيب معين أساسي أو ثانوي في أي لغة من اللغات. إذًا فنحن بحاجة إلى نوع آخر من الأنحاء يقوم بالتعامل مع المركبات اللغوية الأكبر من الجملة؛ حينئذ نستطيع في ضوء هذا النوع من الأنحاء أن نقوم بوضع تعريف واضح للجملة يساهم بشكل ظاهر على التعامل مع الجمل التي تكوّن نصًا ما بل وكذلك على بناء ذلك النوع من الجمل داخل نص.

إذًا الجملة في النص لا تفهم لوحدها ولكنّها داخل نسيج أكبر يسمى النص. هذا النسيج تتظافر أجزاؤه وتتآزر حتى تكتمل صورة ذهنية كبرى (فكرة) هي الهدف الرئيس من إنشاء النص. داخل ذلك النص صور جزئية صغرى (أفكار جزئية)؛ كل صورة منها يمكن التعبير عنها من خلال جملة واحدة (جملة نصية). نهاية الجملة حينئذ ستكون واضحة سواءً أكان العمل الذي نقوم به تحليليًا أم تركيبيًا.

بما أنّ الحديث في هذه الدراسة هو عن الفرق بين نحو الجملة ونحو النص فسوف نكون في حاجة ماسّة لمعرفة المعايير التي يقوم عليها نحو الجملة لنرى إن كان هذا النوع من الأنحاء يستلزم وضع تعريف جلي لمفهوم الجملة أم أنه ليس من ضمن أغراضه بحكم أن حدود الجملة لا يكون لها اعتبار إلا إذا احتواها مركب لغوي أكبر منها.

(3)- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه وديتر فهيفجر، ترجمة: فالح العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، 1999. ص19

(4)- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص88

ثانيًا: معايير نحو الجملة

ينقل أحمد عفيفي عن تمام حسان . في بحث له بعنوان: (نحو الجملة ونحو النص)[5] أربعة معايير لنحو الجملة، وهي على التوالي:

1- الاطّراد: ومعناه أن القاعدة حكَم على اللغة الفصيحة وما خرج عنها يعتبر شاذًا وإن كانوا يعترفون بفصاحته بحكم أنه ورد على لسان أحد الناطقين في عصور الاستشهاد.
2- المعيارية: وتعني أن القاعدة سابقة على النص وأنها معيار للصواب والخطأ ينبغي أن يراعى عند إرادة القول. يفهم من هذا المعيار أنّ الاستعمال اللغوي خاضع لما تمليه القواعد التي يدّعى بأنها تصف النظام اللغوي بينما هي في الحقيقة تصف أحد الاستعمالات التي يقبلها النظام اللغوي.
3- الإطلاق: ومعناه أن القاعدة النحوية صادقة على ما قيل من قبل وما سيقال من بعد فهي الحكم الذي يرد إليه الكلام كله.
4- الاقتصار في بحث العلاقات على حدود الجملة الواحدة فلا يتخطاها إلا عند الإضراب أو الاستدراك أو العطف وما يشبه ذلك.[6] وهذا المعيار يطلق عليه الفاعلية المحدودة والتي يترتب عليها استقلال نحو الجملة عن السياق اللغوي حيث نحو الجملة لا يتعامل مع المواقف اللغوية.

لو تأملنا في تلك المعايير السالفة لوجدناها تثير تساؤلات قامت عليها كثير من الأبحاث والاتجاهات اللسانيات الحديثة. من الأسئلة المثارة التي ليست من صميم البحث لكنّها جديرة بالتناول ما دام الحديث عن نحو الجملة؛ هل الهدف من النحو هو وصف نظام اللغة الذي تشترك فيه جماعة لغويةٌ ما، أم الهدف هو وضع قواعد مستنبطة من استقراء استعمال لغوي معين داخل تلك اللغة ثم محاولة فرضها على أفراد الجماعة اللغوية بدعوى أنّ هذا ما يقتضيه النظام اللغوي؟

الذي أراه هو أنّ هناك فرقًا بين النحو syntax وبين القواعد النحوية grammar. النحو هو ذلك العلم الذي يقوم بوصف النظام اللغوي وقوانينه وترابطاته في لغة ما. قد يكون هناك نحو عام يصف نظام اللغة المشتركة أو الفصحى وأنحاء خاصة واصفة لاستعمالات لغوية محددة يسمح بها ذلك النظام اللغوي. أما قواعد النحو فهي القوانين التي يتم استنباطها بعد استقراء نماذج لغوية منتقاة من استعمال لغوي محدد أو من عدة استعمالات في الواقع اللغوي. هذه النماذج يتم اختيارها بما يتفق ومنظور الباحث اللغوي الذي يقوم باختيار البيانات وجمعها من بيئة وزمان معينين ثم يقوم بتصنيفها لمحاولة الوصول إلى فرضية يمكن أن تجتمع تحت إطارها قواعد مترابطة تبيّن القوانين التي يجب اتباعها لتحقيق الفصاحة. إن اختبرت تلك الفرضية وطبقت على نماذج أخرى فأثبتت فعاليتها حينها تكون جديرة بقيام نظرية يبنى عليها علم للقواعد النحوية.

الذي حدث في الدرس النحوي العربي هو الخلط بين النحو الذي يفترض فيه أن يكون مجرد وصف لنظام اللغة وبين القواعد والقوانين التي يجب أن يلتزمها المتحدثون باللغة حتى يتجنبوا اللحن ويكونوا أقرب للتعبير الفصيح. حتى عند وضع قواعد النحو حدث خطأ كبير وهو محاولة البحث عن قواعد نحوية من خلال الاستقراء من عدة استعمالات لغوية مختلفة وهذا ما قاد إلى الكثير من الخلافات النحوية التي أخرجت الدرس النحوي عن مساره الذي كان يقتضيه المنهج. لا يمكن البحث عن قواعد مطّردة من خلال استعمالات متعددة لذا كان من المفترض أن

(5)- لم أعثر عليه.

(6)- نحو النص؛ اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة2001. ص 73- 74

يتم اختيار استعمال لغوي واحد فقط. الموضوع متشعّب ويحتاج للمزيد من التفصيل لكنه ليس من صميم هذا البحث بل التوسّع فيه سوف يخرج بحثي عن مساره، فلعلّ ذلك يكون في مشاريع بحثية مستقبلية إن شاء الله تعالى.

نحو الجملة وجملة النظام

نعود للحديث عن المعايير من منظور آخر له علاقة وطيدة بهذا البحث، وهو الارتباط الوثيق بين جمل النظام ونحو الجملة. يلحظ من النظر في تلك المعايير أنّها خاصة بنحوٍ يتعامل مع نظام اللغة ويصفه عن طريق وضع أو استخدام أمثلة وشواهد تمثّل النماذج اللغوية المقبولة والممكنة في النظام اللغوي. هذا النوع من الجمل يسمّى بجمل النظام. إذًا الجمل المستخدمة هي فقط لغرض التمثيل بل حتى التي تنتزع من شواهد معينة فهي تساق لنفس الغرض الذي سيقت من أجله الأمثلة المصنوعة. ذلك الغرض هو وصف النظام اللغوي وقوانينه التركيبية والترابطية. ذلك النظام يتكوّن من تراكيب أساسية تعتبر نواة الجملة وقد تلحق بها تراكيب إسنادية ثانوية أو عناصر لغوية مكملة تشرح وظائف نحوية معينة في ذلك النظام. هذا التسلسل لا نهاية له فقد تطول الجملة دون أن نصل لمكان نستطيع أن نجزم فيه بوجوب الوقوف هناك لأنّ الدلالة واكتمالها ليستا من شروط جملة النظام وإنما الشرط هو كون التركيب سليمًا ومقبولًا في نظام اللغة.

إنّ الاضطراب الكبير الذي يحفّ تعريف الجملة يعود إلى خلط اللغويين عرب وغير عرب بين نوعين من الجمل وهو الجمل النظامية والجمل النصية.

ثالثًا: مفهوم النص

تعددت تعريفات النص عند العلماء اللسانيين تعددًا ملحوظًا تبعاً للزاوية التي ينظرون إليها فقد عرفه هاليداي Halliday ورقية حسن بأنه « فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة ... دون تحديد حجمه طولاً أو قصراً».[7] وعرفه برينكر Brinker بأنه :« تتابع مترابط من الجمل».[8] أما دي بوقراند De Beaugrande فذكر أن النص « حدث تواصل يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير ، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه أحد هذه المعايير وهي: السبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلامية، المقامية والتناص».[9] هاليداي ورقية حسن يشترطان في النص كونه وحدة متكاملة. برينكر يرى أن النص لا يكون نصًا إلا إن توفر فيه وجود أكثر من جملة بالإضافة إلى حصول الترابط بينها. بالنسبة لـ دي بوقراند فهو يشترط حمل النص لرسالة تواصلية بالإضافة إلى توفر المعايير السبعة التي أوردها.

محمد حماسة عبد اللطيف يعرف النص فيقول: « والنص اللغوي الحي وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة ونظامه النحوي الذي يحكمه». ثم يضيف شارحًا مراده بـ (النص اللغوي الحي) فيقول: « هو ذلك النص الذي لم يصنع من أجل التمثيل النحوي لغرض من أغراض التعليم ، لأن التركيز في المثال التعليمي في النحو منصب على جانب واحد من جوانب النص هو جانب العلاقات النحوية ، ومن هنا تنسى صلة الشاهد ببقية النص ، فيفقد الشاهد دفء الموقف ، ويصبح باردا غثّا مستكرهًا».[10] على هذا فالنص هو مركب لغوي أكبر من الجملة يشترط في جمله التلاحم. أما سعد مصلوح فيعرف النص على أنه: « سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن

(7)- نحو النص، عفيفي، ص 22

(8)- علم لغة النص؛ المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1/ 2004. ص96

(9)- النص والخطاب والإجراء، دي بوقراند، ص 103- 105

(10)- النحو والدلالة، محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، ط1/ 2000. ص 161

السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل . أو لنماذج الجمل . الداخلة في تشكيله».[11] بالنسبة للأزهر الزناد فهو يرى أن النص: « نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح(نص).»[12].

نرى أغلب اللسانيين يشترطون وحدة وتماسك النص؛ ذلك الشرط هو القاسم المشترك لكل التعريفات التي ترى أن النص لا يكون نصًا إلا إن كان وحدة متكاملة، أجزاؤها مترابطة من الناحية التركيبية والدلالية. هذا النوع من الترابطات هو جوهر أبحاث وتطبيقات نحو النص. لذلك نلاحظ أن التحليل اللساني النصي يتجاوز في ضوء نحو النصوص نظرة التحليل النحوي التقليدي. تتجلى مهام التحليل اللساني النصي في دراسة الخواص التي تجعل النص متماسكًا يشكل وحدة متكاملة تعبر عن صورة ذهنية كبرى محتوية على صور جزئية مترابطة.

رابعًا: معايير نحو النص

هناك معايير سبعة تكفل للنص صحة كونه نصًا، وهذه المعايير هي التي ذكرها دي بوقراند حين عرف النص بأنه « حدث تواصل يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه أحد هذه المعايير وهي: السبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلامية، المقامية والتناص».[13]

فيما يلي سأقوم ببيان مفهوم كل معيار مع التمثيل له بأمثلة تزيده وضوحًا لأني وجدت بعض المعايير شرحت عند بعض مترجميها على غير القصد الذي أراده دي بوقراند وغيره من لساني النص.

1- السبك أو الاتساق Cohesion:

ذكر دي بوقراند أن السبك « هو ما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي».[14] على هذا فالسبك يقصد به تتابع البناء الظاهري للنص عن طريق استخدام الوسائل اللغوية الشكلية. يقول محمد خطابي في تعريف الاتساق هو: « ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برُمَّته».[15]

من ضمن تلك الوسائل الرابطة بين العناصر المكونة للخطاب: الإحالة والاستبدال والوصل والاتساق المعجمي والحذف.

أ- الإحالة: هي إشارة عنصر داخل النص إلى عنصر آخر. وسائل الاتساق الإحالية ثلاث: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة.[16] مثال على ذلك قولنا: (رأيت إبراهيم يجري مسرعًا ليلحق بأخيه.) الهاء في (أخيه) هي عنصر إحالي يشير لعنصر لغوي آخر داخل النص وهو (إبراهيم).

---

(11)- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، من الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية . جامعة الكويت . عبد السلام هارون: معلما ومؤلفا ومحققا، إعداد: وديعة النجم وعبده بدوي .1990. ص 407

(12)- نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط1 /1993. ص 12

(13)- النص والخطاب والإجراء، دي بوقراند، ص 103- 105

(14)- النص والخطاب والإجراء، دي بوقراند، ص 103

(15)- لسانيات الخطاب؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء- المغرب، ط3/ 2012. ص 5

(16)- المرجع السابق، ص 18

ب- الاستبدال: هو استبدال عنصر لغوي داخل النص بعنصر آخر. مثال على ذلك قولنا: (تسألني هل لدى طلاب معهد اللغة علم بالاختبار؟ كل أحد في المعهد يعلم بالموعد.) كلمة (أحد) هي عنصر بديل من عنصر آخر داخل النص وهو (طلاب).

ج- الوصل: «النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيًا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر ربط متنوعة تصل بين أجزاء النص».[17] من أشهر أدوات الوصل حروف العطف، وقد تكون أدوات الوصل كلمات مثل: (لكن، مع ذلك، لذا...الخ). تعتبر أدوات العطف كـ (الواو والفاء) أدوات وصل إضافي، أما (لكنّ، على الرغم من ذلك...) فأدوات وصل عكسي، بينما (لذا، بالتالي، نتيجة لذلك...) فأدوات وصل سببي.

د- الاتساق المعجمي: في نظر الباحثين له قسمان: أولهما: التكرار، وثانيهما: التضام. التكرار هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو مرادف له...[18] مثال على ذلك قولنا: (أرغب في قراءة رواية الجريمة والعقاب لديستوفيسكي. ديستوفيكسي روائي روسي خلّدته أعماله الأدبية.) كلمة (ديستوفيسكي) الثانية هي العنصر المعجمي المكرر. أما التضام فهو إيراد زوج من الكلمات تربطهما علاقة ما، قد تكون علاقة تضاد. مثال على ذلك قولنا: (الأولاد يشتكون من الضجر في كل وقت. البنات لا يفعلن ذلك.) كلمة (البنات) تساهم في الاتساق النصي عن طريق التضام رغم أن العلاقة ضدية.

هـ- الحذف: هو علاقة داخل النص يكون فيها عنصر ما محذوفًا لكن يمكن معرفته بالنظر في النص السابق. مثل قولنا: (إبراهيم يأكل تفاحة وعلي بعض المكسرات.) بعد كلمة (علي) هناك عنصر فعلي محذوف (يأكل) لكن يمكن معرفته بالنظر في الجملة التي تسبقه.

2- الحبك أو الانسجام Coherence:

ويقصد به التتابع الدلالي للمفاهيم والعلاقات داخل النص، وهذا المعيار ألصق بجانب الربط المعنوي. يذكر سعد مصلوح أنّ المراد بالحبك هو الاستمرارية الدلالية التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين تلك المفاهيم. وكلا الأمرين يعتبر حصيلة العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجًا أو تلقيًا. « ويمكن تعريف المفهوم بأنه محتوى مدرك يمكن استعادته أو تنشيطه بدرجات متفاوتة من الوحدة والاتساق في العقل. أما العلاقات فهي حلقات الاتصال بين المفاهيم».[19]

من أدوات الانسجام التأويل والسياق. عن طريق التأويل يتم إدراك العلاقات الخفية داخل النص. أما السياق فالمحلل النصي لا يستطيع فهم العلاقات التي تربط بين المفاهيم حتى يعرف السياق الذي ورد فيه النص لأن السياق يساهم بشكل كبير في تخلّق النص. السياق قد يكون داخليًا (السياق المقالي) يستند على المعطى اللغوي داخل النص، وإما أن يكون خارجيًا (السياق المقامي) يشمل الظروف والأحداث والمواقف التي ساهمت في تشكّل النص.

من العلاقات الدلالية التي تحقق الانسجام في النص العموم والخصوص وكذلك الإجمال والتفصيل وغير ذلك من العلاقات المنطقية. النص التالي يوضح علاقة الإجمال والتفصيل: (قراءة الروايات لها فوائد جمة. قارئ الروايات يستطيع أثناء قراءته الخروج من سطوة الواقع إلى فسحة الخيال. يتمكن كذلك من الرؤية بمناظير مختلفة لأنه يتقمص شخصيات الرواية المختلفة. قراءة الروايات أيضًا تمنح الشخص التعرف على عوالم مغايرة لعالمه

(17)- المرجع السابق، ص 23

(18)- المرجع السابق، ص 24

(19)- نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول. مجلد 10، العدد 1-2/ 1991. ص 154

وثقافات مختلفة عن ثقافته.) الجملة التامة الأولى ترتبط دلاليًا بالجمل الثلاث التالية من خلال علاقة الإجمال والتفصيل. الأولى أجملت الفوائد بينما الجمل التالية لها فصلت تلك الفوائد.

يعتبر معيارا السبك والحبك أهم معايير نحو النص، وهما يعملان معًا في تآلف وتآزر حميمين فالسبك مرتبط باللفظ والحبك مرتبط بالمعنى.

3- القصد Intentionality:

حتى يسمى النص نصًا لابد أن يكون موصلًا لمقصد الملقي الذي يريد إيصاله إلى المتلقي. إنّ القصد هو الغرض الذي من أجله تمّ إنشاء النص. على قدر تعقيد أو بساطة ذلك الغرض يتحدّد طول النص وطرق الربط فيه؛ شكلية كانت أو دلالية.

درج من تحدث عن معايير نحو النص على اعتبار لغو الكلام وحشوه وكلام المكره والناسي والمخطئ والسكران خارجًا عن تسمية النص. والذي أراه أنه لا يوجد نص منطوق ولا مكتوب إلا وله غاية تحقق القصدية. حتى لو لم تظهر لنا غاية من خلال النظر في النص إلا أن ملقيه لم ينشئه إلا وهو يريد به هدفًا تواصليًا ما، فحتى المكره لا يمكنه إنشاء نصّ ما دون أن يكون فيه قصد بيّن أو مخبوء؛ قصد يريده هو أو يعبر فيه عن قصد من أكرهه. وأعجب من إخراج الأبيات التالية من كونها نصًا بزعم خلو النص من القصدية:

واها لسلمى ثم واها واها
يا ليت عيناها لنا وفاها [20]

والحقيقة أنه عند قراءة القصيدة كاملة كما وردت في ديوان أبي النجم العجلي[21] يتبين بوضوح أنها غزلية، غرض الشاعر فيها ظاهر وهو تمني الظفر بمحبوبته والتغني بمحاسنها. بل حتى البيت المجتزء يفهم منه نفس القصد. معنى هذا أنّ معيار القصدية حاضر في كل النصوص لكن نسبة تحققه تعتمد على قدرات منشئ النص الذي يشترط في نصه وجود المعايير الباقية التي تساهم في بناء صورة ذهنية واضحة للمتلقي تجعله قادرًا على إدراك القصد الذي من أجله أُنشئ النص.

مدى تحقق المعايير يؤثر في إبراز القصدية أو تعميتها، كما نرى في المثال التالي الذي تؤثر في إيضاح قصد الشاعر كلمة واحدة. روى أبو هلال العسكري « أنّ رجلا أنشد ابن هرمة قوله:

بالله ربك إن دخلت فقل لها هذا ابن هرمة قائمًا بالباب

فقال: ما كذا قلت. أكنت تصدق؟ قال: فقاعدًا. قال: أكنت أبول؟ قال: فماذا؟ قال: واقفًا. ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى».[22] نرى هنا أن القصد قد يفهم باستخدام كلتا الكلمتين لكن إحداهما أقدر من الأخرى على تبيين القصد وهذا ما جعل ابن هرمة ينكر استخدام كلمة (واقفًا) التي لا تعبّر عن مقصده.

لكن لو سألني شخص عن وزن بحر الوافر مثلاً ولم يكن هناك مثال حاضر في ذهني فارتجلت له البيتين التاليين:

جدار شبهنا يرجو المعالي ويمسك عمره من دون شادي
أسائله فينظر في سؤالي وأشكو منه آهات المنادي

(20). نحو النص، عفيفي، ص 80- 81

(21)- ديوان أبي النجم العجلي، جمعه وشرحه وحققه: محمد أديب عبدالواحد، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2006. ص 449

(22)- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، بيروت/ المكتبة العصرية، ط1. 1/ 68

هنا أستطيع الجزم بأن هذين البيتين ليسا نصًا لأني لم أقصد منهما شيئًا غير تعريف السائل بتنغيم البحر الوافر. هذا الهدف العروضي التعليمي ليس هو المراد بمعيار القصدية في نحو النص. على هذا يخرج كذلك من تسمية النص كل الأمثلة المصنوعة في كتب النحو لأنها لم تنشأ إلا لغرض تعليمي يفسر تراكيب العربية. أما الجمل المنزوعة من نصوصها والتي تساق أيضًا للتمثيل والاستشهاد فهي أيضا ليست بنصوص حين تكون منفردةً لأنها لا تحقق الغرض الموجود في النص الذي اجتزئت منه.

4- التناصّ Intertexstuality:

التناص الذي يخدم نحو النص هو الذي يحمل خصوصية التطبيق وليس ذلك النوع من التناص الذي يدخل في مجال السرقات الأدبية والتضمين لأن هذا النوع يندرج تحت مجال الدراسات الأدبية والنقدية والأسلوبية.

إذًا التناص المراد هنا هو تلك العلاقة التي تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض كما تقوم بين النص والنص الآخر، كعلاقة الجواب بالسؤال وعلاقة المتن بالشرح وعلاقة التلخيص بالنص الملخص وعلاقة الغامض بما يوضحه والمحتمل المعنى بما يحدد معناه. من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى. وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى. قال هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِيْ وعَجِلْتُ إليكَ ربِّ لتَرْضَى.}[23] يحتمل أن يكون أسلوب (وما أعجلك عن قومك يا موسى) تعجبًا أو استفهامًا لكنّ التناص يسعفنا بتحديد المعنى المراد حيث إنّ بقية الآية اشتملت على جواب للاستفهام فتبيّن أن الأسلوب استفهامي.[24]

5- رعاية الموقف (المقامية) Situationality:

ويقصد بها العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه.[25] ومثال هذا بالتطبيق على القرآن الكريم توجيه قوله تعالى: {وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً.}[26] بمراعاة ما نعرفه من السيرة على أن اسم المصدر فيه مضاف إلى الفاعل لا إلى المفعول؛ إذ إن المعروف أن النبي . صلى الله عليه وسلم . هو الذي كان يتعرّض للأذى وليس الكافرون أو المنافقون.[27]

6- الإعلامية Informativity:

دي بوقراند ودريسلر يريان أنّ موضوع الإعلامية هو مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقّع. يقسمان الإعلامية إلى إعلامية منخفضة وإعلامية مرتفعة.

يريدان بالمنخفضة ما لا تضيف للقارئ معلومة جديدة بل هي تقرير لشيء يعرفه. أي إنها لا تصدمه بما لا يتوقعه أو لا يعرفه، كأن تقول: (نحن عرب والإنقليز إنقليز لأنّ لنا خصائصنا ولهم خصائصهم).

أما الإعلامية المرتفعة فهي نتاج لنص بذل فيه منتجه جهده ليفاجئ القارئ بما لا يتوقع فيحتاج لبذل مجهود في استنتاج الرسالة، مثل التحذير الذي وجهته شركة (بيل) للهواتف إلى الجمهور حين قالت: « استدعونا قبل مباشرة الحفر فقد تعجزون عن ذلك فيما بعد». يحتاج القارئ أن يفكر ليستنتج المراد من العبارة التي تريد إخبار

---

(23) - طه: 82 - 84

(24)- نحو النص، عفيفي، ص 83- 84

(25)- النص والخطاب والإجراء، دي بوقراند، ص 104

(26)- الأحزاب: 48

(27)- نحو النص، عفيفي، ص 85

الجمهور بالتبليغ عن أعمال الحفر لأن الحفر قد يتمخض عنه قطع أسلاك الاتصال، عندئذ لا يمكن الاتصال بالشركة لإخبارها. هذا النص الأخير يعتبر من النصوص ذات الإعلامية المرتفعة لأنها تفاجئ المتلقي بما لا يتوقعه.[28]

7- القبول Acceptability:

« وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورةٍ ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام».[29] هذا المعيار له علاقة وطيدة بالمتلقي لأنه هو مستقبل الرسالة عبر ذلك الوسيط اللغوي (النص) الذي يجتهد منتجه ليكون مقبولًا عند قارئه.

إذًا القبول صفة تعني أن النص يمثل صورة مقبولة من صور اللغة بين أجزائها تماسك والتحام وهي محددة الدلالة. إذا أمكن تحديد الدلالة رغم تعدد الاحتمالات فالنص مقبول أما إن لم يكن تحديد المعنى المراد . رغم الاستعانة بالمعايير الأخرى التي تعين على تحديد ذلك المعنى . فالنص ليس مقبولًا أي إنه لا تتوفر فيه صفة المقبولية. يعني ذلك إن القبول مرتبط بمجموع الدلالات الموجودة في النص . بشرط التماسك والالتحام . وتحديدها بعيدا عن الاحتمالات الدلالية.

هذه صفة يشترطها نحو النص على النقيض من نحو الجملة الذي يسمح بالتعدد الإعرابي وما ينجم عنه من احتمالات دلالية.[30] يكثر في نحو الجملة التردد في تحديد المعنى المراد عند تعدد الأوجه الإعرابية المختلفة المحتملة في الموضع الواحد، لكن نحو النص يرجح أحدها بعد الاستعانة بالمعايير الأخرى لنحو النص. مثال ذلك أن نحو النص لا يقبل التردد في أوجه الإعراب الناتجة عن جواز إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول كما في قولنا (زيارة الأحباب تبهجني) أو التردد الناتج عن كون الصفة بعد المتضايفين صالحة أن تكون وصفًا لكل منهما كما في (عجبت لمعلمة اللغة العربية). كلمة (العربية) صفة يصح أن تكون نعتًا للمعلمة أو للغة لكنها داخل نصٍ ما ستكون محددة لموصوف معين. يعين على ذلك التحديد بقية معايير نحو النص كالتناص، المقامية، القصد ... الخ. حينها نستطيع أن نقول عن ذلك الوسيط اللغوي الذي حوى تلك العبارة إنه نص لأنها توفرت فيه صفة المقبولية.

خامسًا: الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النص

اتضح من الحديث عن معايير نحو النص والجملة أن هناك صفات خاصة تميز كل منهما عن الآخر. رغم ذلك هناك أيضًا تداخل بينهما في بعض المعايير وخصوصًا معياري السبك والحبك (الاتساق والانسجام)، فكما يشترط في النص توفر الترابطات الشكلية والدلالية يشترط ذلك في الجملة أيضًا. في بعض الأحيان قد تكون الجملة المستقلة محتوية على معيار القصدية سواءً على مستوى التواصل المنطوق أو المكتوب وإن كان هذا سيخرجها من نطاق جملة النظام إلى نطاق الجملة النصية لكن ذكرته هنا للدلالة على ما قد يحدث بين النص والجملة من التداخل.

ظهور لسانيات النص سلّط الضوء على نوع جديد من الأنحاء الذي يهتم بالعلاقات داخل بنية لغوية أكبر من الجملة وهي النص. هذا النوع من الدرس اللساني أبرز جوانب الخلاف بين نحوي الجملة والنص ليسوّغ تجاوز نحو الجملة إلى نحو النص عند التعامل مع النصوص.

---

(28)- مدخل إلى علم لغة النص، دي بوقراند ودريسلر، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، مطبعة دار الكتاب . سمير أميس، ط1/ 1992. ص 32- 33

(29)- النص والخطاب والإجراء، دي بوقراند، ص 104

(30)- نحو النص، عفيفي، ص 88

في ما يلي سأورد أهم الفوارق أغلبها أشار إليها دي بوقراند في كتابه (النص والخطاب والإجراء) الذي ترجمه تمام حسان، وقد نقل عنه أغلب من تحدث عن الفروقات بين نحوي الجملة والنص. أهم تلك الفروقات هي:

- النص نظام فعّال Actual System بينما تعتبر الجمل عناصر من نظام افتراضي Vertual system أي إن البناء النصي هو بناء واقعي يتميز بالفاعلية لأنه يحتوي على مفاهيم وعلاقات رابطة بينها تقود في النهاية إلى تحقيق أهداف تواصلية. أما نظام الجمل فهو نماذج افتراضية لتراكيب اللغة التي يراد منها أن تصف العلاقات النحوية لا أن تحوي رسائل تواصلية.
- الجملة كيان قواعدي Grammatical يتم تحديده على المستوى النحوي فاكتمال التركيب في حده الأدنى (تركيب إسنادي) هو الذي يمنح الجملة مصطلحها، بخلاف النص فتعريفه ينبني على تحقق المعايير الواجب توفرها في النص حتى يسمّى نصًا.
- قيود القواعد المفروضة على بنية الجملة في النص يمكن التغلب عليها بواسطة تحفيزات تعتمد على سياق الموقف. أي إن العناصر التي يمكن فهمها من سياق الموقف يصح تجاوزها في النص مادام ليس هناك ضرر يعيق العملية الاتصالية في النص. أما الجملة فلأنها معزولة عن السياق، لابد من اكتمال العناصر التركيبية التي قد تحقق الفهم في الجملة بحيث يحسن السكوت عليها. كلمة (نعم)، على سبيل المثال، لا تعتبر جملة لأن هناك عناصر لغوية محذوفة ولا يمكن الاهتداء إليها، بينما داخل نصٍّ حواري تعتبر جملة يحسن السكوت عليها كما نرى في النص الحواري التالي:
  - (هل تودّ مرافقتي إلى الجامعة؟
  - نعم.)

  السياق اللغوي كفيل بتحقق الفهم فالقارئ أو السامع سيدرك أن المراد: (نعم سأرافقك).
- في نحو الجملة يتم التمييز بين ما يطابق القواعد وما لا يطابقها بطريقة معيارية. فالحكم بأن تركيبًا ما يُعد جملة يتم بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية، فالتركيب إما أن يكون جملة أو لا يكون مطلقًا، استناداً إلى معيار الخطأ والصواب. أما التمييز بين ما يعد نصًا أو لا فلا يتم بهذه الطريقة الآلية لأن النص يعتبر مقبولاً أو غير مقبول بالاعتماد على قوانين واعتبارات عديدة تتداخل فيها علوم ومعارف مختلفة.
- يهتم نحو النص دون نحو الجملة بالظواهر النصية المختلفة، ومنها علاقات الترابط، والتماسك النصي. من ذلك الإحالة النصية، التكرار، الحذف، الاستبدال، التراكيب المحورية، التراكيب التابعة وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيرًا دقيقًا إلا من خلال وحدة النص الكلية.
- في نحو الجملة، الجملة لا يمكن تحديد طولها أو عدد مكملاتها بحيث يتوقف بعدها تتابع العناصر، لأنها لا ترتبط بسياق الموقف. أما النص فجمله يتم إنشاؤها في سياق معيّن يحتم تقنين طولها داخل ذلك النص حتى تتسم بالمقبولية.
- الجمل في نحو الجملة ليس لها هدف تواصلي لذلك أثرها محدود إن لم يكن معدومًا في المواقف الإنسانية. على النقيض من ذلك يعدّ النص تجليًا لموقف إنساني يقصد منتجه توجيه السامعين إلى هدف ما.[31]

(31)- النص والخطاب والإجراء، دي بوقراند، ص 89 -92

- من سمات نحو الجملة الاطراد، وهو ثبات القاعدة في الحكم على الفصحى، وما خرج عنها يعد شاذًا. أما نحو النص فينأى عن الاطراد لأنه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية، وهي تصرفات فردية يلجأ إليها منشئ النص ليثير انتباه المتلقي، وهي لا تأتي على نسق مطرد.(32)
- يميز الأزهر الزناد بين نحو الجملة ونحو النص فيما يتعلق بالتصنيف، فالجملة تنقسم إلى اسمية وفعلية، بسيطة ومركبة. هذا التصنيف يعتمد على الشكل لا المضمون. أما النصوص فيتم تصنيفها وفق مضامينها في الأساس ثم يأتي المعيار الشكلي بالدرجة الثانية، لذا يصنف النص إلى أدبي وقانوني وسياسي وفلسفي.(33)
- الجملة في النص ذات دلالة جزئية لا تدرك إلا بمراعاة الدلالات في الجمل السابقة واللاحقة حيث إنّ كل جمل النص تتآزر لتدل على فكرة النص التي أراد منتجه إيصالها للمتلقي. أي إنه لا يوجد استقلال للجمل في النص، لأن قيمة الجملة داخل النص ليست في استقلاليتها بل في ترابطها ببقية الجمل لتحقيق الغرض من إنتاج النص. على النقيض من ذلك، الجمل في نحو الجملة (جمل النظام)، حيث إنه لا يشترط فيها تحقق الشرط الدلالي وإن تحقق ذلك (الجملة الكلامية) فهذا يعني أنها تتميز بالاستقلال دلاليًا لأن كل جملة هناك سيحسن السكوت عليها بمفردها دون احتياج لجمل أخرى.

سادسًا: أهمية نحو الجملة ونحو النص معًا

لا يمكن لنحو النص أن يستغني عن نحو الجملة، فالنص بناء لغوي كبير، لبناته جمل مترابطة (تراكيب إسنادية أصلية أو ثانوية). عزل كل جملة (لَبِنَة) على حدة ثم البحث في تكوينها والعناصر التي جعلتها لبنة واحدة هو أساس البحث في نحو الجملة. نحو الجملة يبحث في العلاقات الداخلية لكل جملة داخل تركيبها الأساسي وبين ذلك التركيب وبقية التراكيب والعناصر اللغوية داخل تلك الجملة. هذا النوع من التحليل النحوي داخل الجمل يعدّ الخطوة الأولى في فهم العلاقات الشكلية داخل الجملة النصية بل حتى بين الجمل النصية داخل نص ما.

يبحث نحو الجملة عن العلاقات بين الجمل داخل النص في أحوال نادرة. غالبًا يكون داخل جملة نصية تامة كعلاقات العطف والاستدراك أو العلاقات داخل الجمل الكبرى التي تحتوي داخلها جملًا صغرى، كقول البحتري:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا من الحسن حتى كاد أن يتكلّما

البيت يمثل جملة نصية كاملة. جملة (يختال ضاحكًا) هي جملة صغرى تربط بينها وبين التركيب الإسنادي الأصلي (أتاك الربيع) علاقة الحالية لأنها حال من العنصر الاسمي (الربيع) الموجود في التركيب الإسنادي. هذا النوع من العلاقات مع كونه بين جمل إلّا أنه لا ينضوي تحت دائرة أبحاث نحو النص لأنّ نحو النص يبحث في العلاقات على مستوى أكبر وهو العلاقات التي تربط بين الجمل النصية التي تترابط مع بعضها في اتساق وانسجام لتحقق غرضًا يستهدف النص إيصاله إلى المتلقي. لكن لا يمكن فهم العلاقات بين تلك الجمل النصية دون فهم العلاقات الكائنة بين الجمل داخل الجملة النصية.

في البيت السابق هناك عدة جمل وهي جمل غير نصية:

1- أتاك الربيع الطلق (يختال [هو] ضاحكا)
2- يختال [هو] ضاحكا [هو]

(32)- نحو النص، عفيفي، ص 74

(33)- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 17

3- كاد [هو] أن (يتكلّما [هو])

4- يتكلما [هو]

العلاقات داخل تلك الجمل ثم بين تلك الجمل هو من صميم أبحاث نحو الجملة. أما البيت بأكمله فهو جملة نصية؛ لا يبحث نحو النص عن علاقاتها الداخلية فحسب بل يبحث عن علاقة تلك الجملة النصية بالجمل النصية الأخرى السابقة واللاحقة في القصيدة والتي غالبًا ما يمثل كل بيت فيها جملة نصية واحدة مترابطة مع البقية لإيصال غرض محدد أراده الشاعر بقصيدته، على تفاوت بين الشعراء في المقدرة على تحقيق ذلك الغرض بوضوح.

عند الحديث عن معيار الاتساق يظهر الاعتماد في النحو النصي على معطيات نحو الجملة. على سبيل المثال عند الحديث عن وسائل الاتساق نرى بوضوح التداخل بين النحوين خصوصًا عند الحديث عن الربط، الحذف، الإحالة بأنواعها كالإحالة باستخدام الضمائر أو عن طريق أسماء الإشارة.

نتبين من خلال هذا العرض السريع مدى التداخل الكبير بين نحوي الجملة والنص. نحو النص لم يكن ليظهر لولا إسهامات الأبحاث اللغوية التي كان محورها الجملة. إذًا فنحو الجملة هو الأساس الذي يقوم عليه نحو النص، ومكونات النص ما هي إلا مجموعة من الجمل. نحو النص لا يلغي نحو الجملة وإنما يدعو إلى تجاوزه إلى نحو أوسع عند التعامل مع بنية لغوية أكبر من الجملة.

في مجال التحليل اللغوي يعد نحو النص هو الخطوة التالية بعد نحو الجملة في التعامل مع المركبات اللغوية الكبرى والتي تكوّن نصوصًا شعرية أو نثرية. نحو الجملة يتعامل مع البنى اللغوية المستقلة ويصف ترابطاتها الداخلية، أما نحو النص فهو يصف الترابطات الكلية على المستويين الشكلي والدلالي ويعتمد معايير مختلفة من أجل الوصول إلى غاية النص بعد إدراك مفاهيمه والعلاقات الرابطة بينها. عند التعامل مع النصوص فإن نحو الجملة ومفاهيمه لا تسعفنا كثيراً في فهم الأبعاد التواصلية التي أنشئ من أجلها النص. النص ليس في النهاية إلا محاولة لإيصال فكرة ما (صورة ذهنية) من ذهن منتج النص إلى ذهن المستقبل.

أنا أعتقد أن نحو النص والأبحاث المتعلقة به تعدّ طفرة معرفية تخرج اللسانيات من ضيق الجملة إلى فسحة النص. وهنا لا يصبح التعامل مع النصوص وظيفة المتخصصين في الأدب والنقد بل هو مجال البحث اللساني المبني على تراكم معرفي يتطور عبر العصور.

التحليل النصي . في رأيي . هو جزء لا يتجزأ من مستويات التحليل اللغوية والتي يقوم عليها صلب أبحاث الدرس اللساني الحديث. المشهور إن مستويات التحليل اللغوي في الدرس اللساني تبحث في الجوانب الأربعة التالية:

1- المستوى الصوتي: يقوم الدرس الصوتي بتشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان ويصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في تلك الأماكن. يقوم بتقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات تظهر في كل مجموعة منها خصائص معينة. يهتم كذلك بدراسة المقاطع الصوتية والنبر والتنغيم. جميع تلك الموضوعات تشكل ما يسمى بـ (علم الأصوات) الذي يتعاطى مع أصغر المكونات اللغوية وهو الفونيم.

2- المستوى الصرفي: فيه يتم دراسة بنية الكلمة بالبحث في القواعد المتصلة بالصيغ واشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة. هذا النوع من الدرس اللغوي يعرف بـ (علم الصرف) وهو يتفاعل مع المستوى الثاني من المكونات اللغوية وعماده (المورفيم) الذي هو أصغر وحدة لغوية لها معنى؛ قد تكون كلمة أو جزءًا منها.

3- المستوى النحوي: في هذا المستوى يتم دراسة نظام الجملة من حيث ترتيب أجزائها وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض وطريقة ربطها. هذا المستوى هو اتجاه تصاعدي تجاوز البحث داخل الكلمة إلى البحث داخل الجملة المكونة من عدة كلمات، لذا فهو يعتبر المستوى الثالث بعد تجاوز المكونات اللغوية الأصغر من الجملة.

4- المستوى الدلالي: في هذا المستوى تتم دراسة دلالة الألفاظ أو معاني المفردات والعلاقة بين هذه الدلالات المختلفة، الحقيقي منها والمجازي. يبحث كذلك قضايا التطور الدلالي وعوامله. من موضوعاته الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد وغير ذلك. كما نلاحظ فهي موضوعات لا تتجاوز البحث على مستوى المفردة، ونادرًا ما يتم تجاوز ذلك للبحث في دلالة الجملة. قسم الباحثون البحث في علم الدلالة إلى أربعة مستويات؛ صوتية، صرفية، نحوية ومعجمية. نلاحظ أن أبحاث المستوى الدلالي لا تتجاوز حدود الجملة.

أرى أن نحو النص هو التطور الطبيعي لمستويات التحليل اللغوي فكان ينبغي أن يحلّ خامسًا ليكمل مسيرة التعامل مع المكونات اللغوية ابتداءً من أصغرها وهو الفونيم إلى أكبرها وهو النص.

النص ما هو إلا مجموعة من الجمل. كما نعلم فإن الفونيم وحدة الكلمة والكلمة وحدة الجملة، أما الجملة فهي وحدة النص. على هذا أقترح أن يدرج التحليل النصي في مستويات التحليل اللغوي فيكون ترتيبها كالتالي:

1. المستوى الصوتي
2. المستوى الصرفي
3. المستوى النحوي
4. المستوى الدلالي
5. المستوى النصي.

المستوى النصي فيه تتم دراسة المركبات اللغوية الأكبر من الجملة وهي النصوص، فالنصوص هي محور الدراسة النصية. يتم في هذا النوع من التحليل اللغوي دراسة ترابطات النص الشكلية والدلالية وجميع معايير التحليل النصي التي تساهم في إيجاد غرض النص أو مقصده الذي يرمي إليه منتجه حيث إن النصوص تتميز عن الجمل باحتوائها على أهداف تواصلية هي الغرض الأساس من إنشائها.

مثال على المستويات التحليلية الخمسة

أسوق هنا أمثلة لبعض أنواع التحليلات اللغوية في النص القرآني التالي:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد. اللَّهُ الصَّمَد. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد}.[34]

التحليل الصوتي:

الباحث الصوتي لا يرى النص ولا الجمل وإنما جل اهتمامه هو تحليل أصوات اللغة الموجودة في النص ومحاولة وصفها. من أمثلة التحليل الصوتي في النص القرآني السابق ما يلي:

- صوت اللام بين الترقيق والتفخيم: مدار اهتمام الباحث الصوتي هو الأصوات، لذلك سيكون التفريق بين صوت اللام المفخمة في (الله) والمرققة في (يلد، يولد، لم، له) محل عنايته. قد يتحدث عنهما كظاهرتين لهجية داخل استخدامات لغوية معينة فيكون الحديث صوتيًا بحتًا وقد يربط استخدامها بدلالة المفردة فيتداخل حينئذ البحث الصوتي مع الدلالي.
- أصوات الحلق: الباحث الصوتي سيعنى بالحديث عن الأصوات فقط فقد لا يرى في السورة الكريمة إلا كثرة أصوات الحلق في السورة خصوصًا في الآية الأولى. يقوم بوصف هذه الأصوات وبيان مخارجها وطريقة تفاعل أعضاء النطق عند إخراجها.

(34)- سورة الإخلاص

التحليل الصرفي:

عالم الصرف لا يرى النص كمجموعة جمل أو علاقة بين مفردات بل يرى الكلمات المفردة فحسب ويغوص في تحليلها لاكتشاف الصيغة بتحديد حروفها الزائدة من سوابق ولواحق كما يقوم بتحديد المورفيمات الحرة من المقيدة داخل كل كلمة.

الباحث الصرفي . على سبيل المثال . سيذكر أن وزن (قل) هو (فُل) لأن عين الكلمة محذوف والأصل (قُوْل) بدليل أنها لا زالت تستخدم في كثير من العاميات على الأصل. ويبيّن أنّ (يلد) حذفت فاؤها بعد أن تم تحويل الصيغة للمضارع حيث أن أصل الكلمة (يَوْلِد). مجال اهتمام الصرفي هو داخل الكلمة وليس أبعد من ذلك.

التحليل النحوي:

أما الباحث النحوي فلا يرى النص كتلة واحدة بل يرى مجموعة من الجمل المستقلة باحثًا عن العلاقات داخل كل جملة. على سبيل المثال، قد يقول إنّ الآية الثالثة هي مكوّنة من جملتين فعليتين تمّ الربط بينهما برابط العطف. يذكر كذلك أنّ (يلد) فعل مبني للمعلوم وفاعله مستتر والتقدير (يلد هو) بينما (يولد) فعل مبني للمجهول ونائب فاعله مستتر وتقديره (يولد هو). على هذا فليس من اختصاص النحوي البحث في العلاقات القائمة بين الجمل الواردة في النص بل وظيفته هي معرفة نظام الترتيب بين العناصر اللغوية داخل الجملة مع بيان الروابط بين تلك العناصر أو المركبات داخل الجملة. هنا قد يتداخل البحث الصرفي مع النحوي حيث نلاحظ أن نوعية الوظيفة النحوية لـ (المسند إليه) في الجملتين الفعليتين الآنفة الذكر له علاقة بصيغة الفعل (المسند).

التحليل الدلالي:

الباحث في علم الدلالة لا يعنيه إلا معاني المفردات . في الأغلب . والبحث في تطوراتها الدلالية مع التفريق بين الدلالات الحقيقية والمجازية. في أحيان نادرة قد يتطرق لمعاني بعض المركبات داخل حدود الجملة الواحدة. من أمثلة البحث الدلالي داخل النص القرآني بيان معنى (الصمد) والتي ذُكِر لها في كتب اللغة عدة معانٍ تدور حول معنيين أساسيين؛ أحدهما: القصد، والثاني الصلابة في الشيء. « صَمَدَ: يصمِده صمْدًا وصمد إليه، كلاهما قصده ... والصمد بالتحريك السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد ... والصمْد المكان الغليظ المرتفع من الأرض ... والمصمّد الصلب الذي ليس فيه خَوَر ... »[35] يقوم بعدها الباحث الدلالي بترجيح أحد المعنيين وفق ما يقتضيه سياق الجملة أو قد يذهب إلى إمكانية قبول المعنيين تحت إطار ما يسمى بالاتساع الدلالي. أغلب المفسرين واللغويين اختاروا معنى القصد ليكون المراد من الآية؛ الله الذي تقصده كل المخلوقات بالعبادة والاحتياج. هذا المعنى . في رأيي . هو الأقرب لأنه المفهوم من سياق السورة التي تدور حول محور الوحدانية. هنا نجد أن البحث الدلالي قد يتداخل مع البحث النصي.

التحليل النصي:

الباحث النصي لا يرى جملًا مستقلة عن بعضها بل يرى نصًا مترابطًا مكونًا من جمل نصية مترابطة لفظيًا ومعنويًا بما يحقق الاتساق والانسجام بين جمل النص. ذلك الترابط يقود إلى تحقيق مقصد النص الذي سيق النص من أجله.

---

(35) - لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر ـ بيروت، مادة (صَمَدَ). 3/ 258 . 259

من أمثلة التحليل النصي في السورة القول بأن جميع الجمل النصية مترابطة لفظًا باستخدام وسائل مثل:

- التكرار: مثل تكرار لفظ الجلالة في (الله الصمد) حيث ربطها بالجملة الأولى. وكذلك كلمة (أحد) في الآية الرابعة وهي تكرار لنفس اللفظ الوارد في الآية الأولى.
- الإحالة: من وسائل الربط في النص الإحالة التي ظهرت في الآية الثالثة حيث الإحالة بالضمير المستتر في كلمتي (يلد، يولد) إلى كلمة في الآية الأولى وهي لفظ الجلالة (الله). كذلك الإحالة بالضمير في (له) في الآية الرابعة حيث يعود الضمير أيضًا على لفظ الجلالة في الآية الأولى.

من الأمثلة كذلك على التحليل النصي الحديث عن الترابط الدلالي بين الجمل داخل النص حيث جميعها تتآزر لخدمة الغرض الأساس من النص وهو إثبات الوحدانية. في الآية الأولى يتم تقرير الحقيقة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله واحد. ثم تأتي الآية الثانية لتأكيد ذلك المعنى بالحديث عن أحد أوجه الوحدانية وهو كون الله سبحانه هو المقصود من كل ما سواه وذلك تأكيد لوحدانيته وتفرده لأنه إن كان مقصودًا من كل ما سواه فهو واحد. أما الآية الثالثة فتعزّز مفهوم الوحدانية بنفي الوالد والولد عنه فهو لم ينشأ من كيان آخر ولا أوجد من كيانه كيانًا آخر كما زعم النصارى فهو إذًا واحد أحد. أما الآية الرابعة فتؤكد فكرة الوحدانية بنفي الشريك والمماثل، ومن لم يكن له شريك في ملكه فهو واحد أحد. نلاحظ أنّ هناك ترابطات منطقية بين كل الجمل وليست رصفًا من جمل عشوائية. إنّها جمل متظافرة تحمل كل منها فكرة جزئية تتظافر مع البقية لتكوين تصور واضح عن حقيقة الوحدانية التي هي صلب رسالة الإسلام.

سابعًا: اقتراح تعريف أوضح للجملة

بعد تسليط الضوء على النحوين وإدراك مفهوميهما ومعرفة معايير كل منهما، أستطيع القول إنّ الغموض الذي رافق تعريف الجملة عند العرب والغرب هو نتيجة الوقوع تحت أسر منظور التفاضل بين النحوين. كل نوع من النحوين يساعد في فهم نوع أو أكثر من أنواع الجمل، إذ مصطلح الجملة لا يعبر عن مفهوم واحد فقط بل له عدة مفاهيم وهذا خلاف المعتقد السائد الذي يرى أن مصطلح الجملة يعبّر عن مفهوم واحد. في الحقيقة إن الجملة قد تأتي على سبيل الإطلاق فتشمل الأنواع جميعها وقد تخصص لتدل على التركيب فقط فتكون نظامية أو مكتملة التركيب والدلالة وحينها تكون كلاما (جملة كلامية). وقد تكون داخل نص فتشكل مع أخواتها بناءً لغويًا أكبر يخدم غرضًا معينًا وحينها تسمى بالجملة النصية.

فيما يلي أقترح تعريفات لأنواع الجمل مما يساعد في فهم التطور الطبيعي الذي حدث في النحو بانتقاله من إطار الجملة إلى إطار النص.

الجملة عند الإطلاق: (تركيب لغوي يحوي عنصري الإسناد كحد أدنى من العناصر اللغوية). الجملة هي لفظ عام وحينما نريد تخصيصها فإننا نستخدم المصطلحات الأخرى. أي إنّ جملة النظام تعتبر جملة وكذلك مصطلح (الكلام) يعتبر جملة، كما إنّ الجملة النصية تُعدّ جملة.

جملة النظام: (تمثيل رمزي بكيانات تجريدية تصف النظام اللغوي في لغة من اللغات). يجب فيها توفر عنصري الإسناد الأساسيين بصورتيهما {اسم + اسم} أو {فعل + اسم} لكنّ جملة النظام قد لا تكتفي بعنصري الإسناد لأنّها سوف تحوي كيانات تجريدية تصف النظام اللغوي ومكوناته مع بيان العلاقات بين تلك المكونات. في جملة النظام لا تشترط الإفادة لأن الجانب الدلالي لا قيمة له إلا في حالة الرغبة في وصف بعض المواقع الوظيفية التي لا تتبيّن إلا بحضور الجانب المعنوي.

الكلام: أسميها الجملة الكلامية و (هي التي اكتمل فيها عنصرا الإسناد وأفادت فائدة يحسن السكوت عليها.) هنا الجانب الدلالي يلعب دورًا أساسيًا وليس ثانويًا لكن الدلالة المرادة هنا هي الدلالة الداخلية (داخل الجملة) وليست الدلالة الخارجية التي لها ارتباطات بجمل سابقة أو لاحقة.

الجملة النصية: (هي التي استوفت جانبي التركيب والدلالة الجزئية المستقلة منجزة في مقام ما يجعلها مع بقية الجمل النصية نصًا مكتملًا ذا رسالة قصدية واضحة.) بإذن الله تعالى سوف أفصل في الحديث عنها في بحث مستقل بعنوان: (الجملة النصية).

الخاتمة

أرى أنه ليس من التجرد للعلم أن كلما نظرنا في نوع من العلوم الحديثة عند الغرب قمنا بحرمان أنفسنا من نفعه مهدرين الطاقات والأوقات الثمينة في محاولات مستميتة لإثبات أسبقية العرب في تلك العلوم أو الزعم بأن طبيعة العربية لا تحتاج ذلك النوع من البحوث. لقد أفادني اطلاعي في مصنفات نحو النص على حل إشكالية الاضطراب في تعريف الجملة؛ ذلك النوع من الاضطراب الذي يلقي بظلاله إلى يومنا هذا على الكاتبين بهذه اللغة حين يقعون في حيرة إزاء المكان الذي يستطيعون فيه إنهاء الجملة.

من خلال هذا البحث تبيّن لي أن الدرس اللساني النصي هو امتداد طبيعي لدروس نحو الجملة، لأن انتقال المحلّل اللغوي من المكونات الصغرى إلى الكبرى أصبح من مسلمات البحث اللغوي. إذا كانت أصغر المكونات اللغوية هي الفونيمات فإنّ أكبرها هي النصوص وليست الجمل. حينما يتمّ التعامل مع النصوص بالاعتماد على معطيات نحو الجملة فحسب، فإنّ هذا يحرم الباحث اللغوي من أدوات مهمة وأساسية توفرها لسانيات النص.

هناك عدة نتائج توصلت لها هذه الدراسة لكني سأجمل أهمها في ما يلي:

1. نحو النص ليس بمنفصل عن نحو الجملة ليتم المقارنة بينهما بل هو تطور طبيعي للتعامل مع المكونات اللغوية من الأصغر للأكبر.
2. هذا البحث يبين لنا سر اختلاف تعريف الجملة لدى لغويي العرب والغرب فهم كانوا يحاولون وضع تعريف لمصطلح واحد بينما هذا المصطلح يدخل تحته عدة مفاهيم.
3. من خلال نحو النص عرفنا أن مصطلح الجملة عام لكنه عند التخصيص يمكن أن يعبر عن ثلاثة مفاهيم مختلفة، فالجملة لها عدة أنواع: منها ما يندرج تحت إطار وصف نظام اللغة وهي جملة النظام والبعض يدخل تحت دائرة الاستعمال اللغوي وهي الجملة الكلامية والجملة النصية.

المراجع والمصادر

1- ابن منظور المصري: لسان العرب، بيروت، دار صادر.
2- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط١/ بيروت، المكتبة العصرية.
3- أحمد عفيفي: نحو النص؛ اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة/ ٢٠٠١، مكتبة زهراء الشرق.
4- الأزهر الزناد: نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، ط١/ ١٩٩٣، المركز الثقافي العربي.
5- دي بوقراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط٢/ ٢٠٠٧، عالم الكتب.
6- دي بوقراند ودريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، ، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، ط١/ ١٩٩٢، مطبعة دار الكتاب ، سمير أميس.

7- سعد مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، من الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية .جامعة الكويت .عبد السلام هارون: معلما ومؤلفا ومحققا، إعداد: وديعة النجم، وعبده بدوي، ١٩٩٠.
8- سعد مصلوح: ١٩٩١، نحو أجرومية للنص الشعري؛ دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلد ١٠، العدد ٢.١، ص ١٥١ . ١٦٦.
9- سعيد بحيري: علم لغة النص؛ المفاهيم والاتجاهات، ط١/ ٢٠٠٤، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
10- فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح العجمي، ١٩٩٩، مطابع جامعة الملك سعود.
11- محمد أديب عبد الواحد ديوان أبي النجم العجلي، ٢٠٠٦، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
12- محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، ط١/ ٢٠٠٠، دار الشروق.
13- محمد خطابي: لسانيات الخطاب؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، ط٣/ ٢٠١٢، الدار البيضاء . المغرب، المركز الثقافي العربي.
14- محمد خير الحلواني: ١٩٨٣م، مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي، مجلة المناهل، العدد ٢٦. ص ١٩٤ . ٢٣١